Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظّاهرة، وليس الظّنُّ به، ولكنّنَا متى تقفّينا نسيج نظامه الفكريّ، وعقدنا الوصل بين أطراف حيرته المنهجيّة في أبعاد عمقها وحدود غوصه عليها، كدنا نجزم بأنّ اللّجوء إلى المراوحة بين الجدّ والهزل ـ هذه الدّعامة الّتي قامت أبرز خصيصة لمفهوم الأدب العربيّ عبر مفهوم الجاحظ له ـ لم تكن سوى تقيّة توارى بها من أعوزته حيلة إحكام الصّنعة، ولا يخدعنّك من أمره أنّه صوّر القضيّة بما يحملك على الظّنّ أنّها مقصودة بذاتها، فقد رأيته يتبرّم بها ويضيق بقصوره عن تصريف المادّة المتجمّعة تصريفا منطقيّا، كيف لا وهو من رؤوس العقلانيّة دينا ومذهبا. أما حان لنا أن نراجع الأحكام الّتي تراكمت على مفهوم الأدب الجاحظيّ مضمونا ومنهجا حتّى غدت كالمسلّمات ؟ أفليس من الغفلة الانسياق إلى ظاهر النّصّ حين يورد علينا الجاحظ فقرا تفسّر منهجه، وأوّل مأخذ عليها بل أوّل مطعن فيها أنّها هي ذاتها ترد في ارتجال ينتقض به مغزاها، فلا موضعها ولا نسيجها بمقنع لنا، وإنّما سرّها أنّها تخدعنا لأنّها قد تركّبت بضرب من الصّنعة صيّرها أحبولة فكريّة. ولو تدبّرت أمر تلك الفقر نصّا ودلالة ثمّ جدّدت سبرها على نمط النّقد الباطنيّ والمقارعة الاستكشافيّة لتبيّن لك أنّها لعبة ذهنيّة لا مستند لها إلا جموح الأدب على اللّفظ الكاشف لهـويّته.

ولتتوسّل إلى الّذي ندّعيه ببعض الشّواهد، فإذا ارتقبت ثناياها أوغلتك إلى نقد الباطن، وسيصير الحكم لديك قاطعا تخلعه دونمـا حـرج.

يقـول الجاحظ : «قد ذكرنا ـ أكرمك الله ـ في صدر